المصادر الأغريقية
للفلسفة الاسلامية
للدكتور ابراهيم بيومى مدكور

لايستطيع باحث أن يفهم الفلسفة الأسلامية فهماً صحيحاً دون أن يدرسها على ضوء الفكر الأغريقى ومنتجاته . ولا نبالغ مطلقاً إذا قلنا إنه تعذر علينا أحياناً فهم مسألة لدى (الفارابى) أو (ابن سينا) قبل أن نقرأ مصدرها فى كتب (أرسطو) أو (أفلاطون) . وعلّ أحسن ما كُتب فى تاريخ الفلسفة الاسلامية إلى اليوم كان من عمل رجال قارنوا القديم بالحديث ، وقرّبوا فلاسفة الأسلام من أساتذتهم الأغريق . على العكس من ذلك يكاد يرجع العيب العام لأكثر ما كُتب فى هذه الناحية إلى أن مؤلفيه نسوا أو تناسوا الصلة بين الفلسفة العربية والفلسفة الأغريقية ؛ فنسبوا إلى أشخاص آراء ونظريات لينتت نتيجة بحثهم وتفكيرهم المستقل ، ومن التجنى على الحقيقة والتاريخ أن يعزى إلى عالم أو فيلسوف ما لم يأت به ابتداء ، ومالم يبتكره ابتكاراً . ومنشأ هذا الاستاد الباطل جهل بالتاريخ وإغفال للعلاقات الثابتة بين المراحل المختلفة للتفكير الانسانى . فرب فكرة بدت جدة مبتكرة فى حين أن الأقدمين اهتدوا اليها من قبل وأبرزوها فى صورتها الحاضرة ، أو فى صورة أخرى تبعد عن هذه بعض البعد . ومن الغريب أن هناك طائفة من المؤرخين تنزع إلى اعتبار أبطالهم ومن يكتبون عنهم مصدر كل جديد ؛ فهم ينسبون اليهم شخصيا كل ما جاء فى كتبهم أو رُوى عنهم . فى هذا ، بلاشك ، اعتداد كبير بمن يُترجمون لهم ، ومن يدرسون حياتهم ؛ غير أن النزاهة والتحقيق العلمى يأبيانه . قد يبدو طريفاً أن يقال إن نظرية كذا من ابتكار فلان وحده ؛ ولكن أليس أطرف من هذا وأعمق بحثاً أن يبين المؤلفون المقدمات التاريخية التى مهدت لهذه النظرية ؟ قضى الناس زمناً يرددون فيه أن (ديكارت) مثلاً اخترع نظرية الشك الفلسفى Le doute méthodique اختراعاً دون أن يتأثر فيها برأى سابق ؛ وهاهم أولاء اليوم يعلنون أنه سُبق إليها فى صور أخرى مصغرة ، ويبرهنون على ذلك بطرق دقيقة أخاذة [١]

إزاء هذه الظروف كلها نحاول فى هذه الكلمة أن ألقى نظرة عامة على المصادر الأغريقية التى كانت ذات أثر بين فى تكوين الفلسفة الاسلامية ، وفى تعرف هذه المصادر ما يعيننا على أن نحدد بالدقة ما جاء به العرب ، وما سبقهم اليه الأقدمون

عرف المسلمون الفلاسفة السابقين لسقراط Antésocratiques ، ونصف السقراطيين Demi - socratiques ، والسفسطائية Sophistes واللاأدرية Sceptiques ، والرواقيين Stoïciens والأبيقوريين Epicuriens . [٢] فنظرية « الجوهر الفرد » التى قال بها (ديموقريط) و (أبيقور) تتصل إلى حد ما بتلك النظرية التى وردت على ألسنة علماء التوحيد المسلمين [٣] . ومذهب الرواقيين المادى أثر تأثيراً غير قابل للأنكار فى جماعة المعتزلة ؛ ونخص بالذكر منهم (النظّام) الذى اعتنق نظريات ذات أصل رواقى واضح ، وإن من يقرأ آراءه فى « الكمون » لا يشك مطلقاً فى أنه تأثر فيها بما جاء به الرواقيون من قبل [٤] . وقد أخذ علماء الكلام بوجه عام عن اللاأدرية الأغريقيين كثيراً من أفكارهم ، وخاصة ما اتصل منها بنقد (أرسطو) ونظرياته [٥] . ونرى فى كتب التراجم العربية ملخصات قصيرة عن حياة (طاليس) و (فيثاغورس) و (أبخزاجور) و (أمبيدوقل) ، وفى كتاب الملل والنحل (للشهرستانى) أحسن أنموذج لهذه الملخصات [٦] . بيد أن هذه المعلومات فى جلتها ناقصة وغير صحيحة أحياناً ؛ ولا يبدو على مفكرى الاسلام أنهم كوّنوا رأياً ناضجاً عن هذه المذاهب الفلسفية المختلفة . (فالشهرستانى) نفسه يخلط مذهب (فيثاغورس) بمذهب (أفلاطن) ، ويعزو إلى أصحاب الرواق بعض نظريات

(١) Voir Blanchet (L.), Les antécedents historiques du : « je pense, donc je suis, » Paris; 1920.

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٤٥

(٣) Madkour, La place d' al Fârâbî, p p. 50 et suiv.

(٤) Horovitz Ueber den Einfluss des Stoizimus auf die Entwicklung der Philosophie bei den Arabern (Z. D. M. C.), Bd 57, p. 177.

(٥) Madkour, L' organon d' Aristote..., p. 1321217.

(٦) الشهرستانى ، الملل والنحل (طبعة لندن) ج ٢٢ ص ٢٠٢ — ٢٠٤ ، ٢٨١ — ٢٩١ — ٣٠٥

مدرسة الأسكندرية [١] . وإذا استثنينا (أفلاطون) و (أرسطو) نجد أن المسلمين لم يعرفوا فلاسفة الأغريق إلا عن طريق غير مباشر ، وفى ثنايا كتب (بلوتارك) و (جالينوس) و(پورفيد) التاريخية [٢]

لم يترجم العرب حقيقة من كتب الأغريق الفلسفية إلا مؤلفات (أفلاطون) و (أرسطو) وشرّاح الأخير وتلاميذه . فأما (أفلاطون) فقد تُرجمت محاوراته dialogues الهامة ، وعلى رأسها : الجمهـــورية la République ، والنوامبس les Lois ، وطماوس le Timée ، والسوفيسط le Sophiste ، وبوليطيق le Politique ، وفادن le Phédon ، ودفاع سقراط l' Apologie de Socrate [٣] . فباطل إذن مايقال من أن العالم العربى لم يعرف (أفلاطون) إلا معرفة ناقصة أو خاطئة . والواقع يثبت ، على العكس من ذلك ، أن (مؤسس الأكاديمية) استطاع بفضل نظرياته ومذهبه الروحى أن ينفذ إلى قلوب المتصوفة والمتكلمين والفلاسفة من علماء الاسـلام ؛ وقد بينا فى بحث لنا أن (الفارابى) فى محاولته التوفيق بين (أفلاطون) و(أرسطو) اعتمد على أربع محاورات هامة من مؤلفات الأول وهى : فادن ، بوليطق الجمهورية ، وطماوس ، كما بينا أنه صدر عنها واستشهد ببعض ما جاء فيهـا بشكل لايدع مجالاً للشك فى أنه قرأها قراءة روية وتدبر [٤] . وفى هذا مايؤيد أن فلاسفة الاسلام درسوا (أفلاطون) دراسة مباشرة وفى كتبه التى نقلت إلى العربية

غير أن هؤلاء الفلاسفة لم يعنوا (بمؤسس الأكاديمية) عنايتهم (بأستاذ الليسيه) ، ولم ينل (أفلاطون) لديهم الحظوة التى نالها تلميذه (أرسطو) . وقد أبان (رينان) من قبل مقدار اعجاب فلاسفة الاسـلام بالأخير ، واحلالهم إياه محلا خاصاً وتعلقهم بتعاليمه ، واعتبارهم إياه حجة فى العلوم النظرية [٥] فكان طبيعياً أن يبحث العرب عن مؤلفـاته ، وأن يترجموها فى دقة وأمانة . وقد توفر لهم من ذلك عدد غـير قليل فى الاقتصاد ، والأخلاق ، والطبيعة ، والمنطق ، وما وراء الطبيعة

كى يُفهم (أرسطو) فهما حقا يجب ألا يدرس بمعزل عن تلاميذه وشراحه ، لهذا اتجه العرب نحو أتباعه الأوَل وكبار مؤسسى (مدرسة المشائين) ، فأخذوا عنهم ، وترجموا قدرا من كتبهم . وفى مقدمة هؤلاء الأتبـاع يجدر بنا أن نشـير الى تيوفرست Théophraste الذى عُرف بصـــلاته الشخصية (بأرسطو) ، وببعض مؤلفاته المترجمة الى العربية [١] . وهناك فيلسوف آخر من المشائين نال منزلة ممتازة فى العـالم العربى لا يفضلها إلا منزلة (أرسطو) ، ونعنى به الاسكندر الأفروديسى Alexandre d'Aphrodise . وكان (ابن سينا) يسميه « أفضل المتأخرين » ، ويعتد بآرائه اعتداداً كبيراً [٢] ويروى لنا (يحيى ابن عـدى) أن شروحه على الميتـافيزيك Métaphysique والأناليتيك Analytiques (لأرسطو) عرضـت فى السوق يوما فتسارع الناس الى اقتنائها ، ودفعوا فيها ثمنا باهظا . اما شرحه على كتاب النفس Traité de l'âme فيعـد من أقوم مصادر نظرية العقل théorie de l'intellecst التى لعبت دوراً هاماً فى العـالم الاسلامى وفى فلسفة القرون الوسطى عامة [٣] وإذن يمكننا أن نقول إن العرب عرفوا (مدرسة المشائين) ممثلة فى أكبر رجالها ودرسوها مستعينين بأولى المصادر الموثوق بها

بين مفكرى الأغريق رجل آخر معاصر (للأسكندر الأفروديسى) ، وعلم من أعلام الحركة العلمية الأسلامية ، لا فى الطب فقط بل فى الفلسفة وتاريخهـا ، ألا وهو جالينوس Galien . فاليـه يرجع الفضـل ، فيما نعتقد ، فى نشر نظريات الرواقيين واللاأدريين بين العرب . وفى شرحـه لمؤلف (أفلاطون) المشهور والمسمى طماوس ما رفع من شأن هذا الكتاب ، وما منحه سمعة عالية فى الفترات الأخيرة من العصور القديمة ، وفى القرون الوسطى لدى السريانيين والعرب واللاتينيين [٤] ولا يفوتنا أن نشير إلى أن مكاتب (استامبول) تحتفظ بترجمة

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٦٨ — ٣٠٩ — ٣١١

(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٤٦ — القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ١٧ وتوابعها — ابن أبى أصيبعة ، عيون ، ج ١ ص ١٤٩

(٣) اجتهدت هنا أن أسرد الأسماء التى وضعها العرب أنفسهم

(٤) Madkour, La place d' al Fârâbî, pp. 39—40.

(٥) Renan, Averroès, p. 54. — cf. Munk, Mélanges, p.316

(١) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٣٢ — ٣٣ ، ١٠٦ — ١٠٧

(٢) ابن سينا ، الشفا (مخطوطة المتحف البريطانى رقم ٧٥٠٠) ص ٥٣

(٣) Madkour, La place d' al Fârâbî, p — 131

(٤) حنين بن اسحق ، رسالة الى على بن يحيى ص ٥٠ — القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ١٣١

عربية لهذا الشرح الذى فقد أصله الاغريقى ؛ وقد أطلعنا على بعض أجزائها صديقنا المسيو (كرادس) المدرس بمدرسة الدراسات العالية (بالسربون) . فعسى أن تنشر هذه الترجمة كى تضم خدمة جديدة الى خدمات العربية فى ربطها بين التاريخ القديم والتوسط ، بل والحديث . و (لجالينوس) أيضا أثر فى العلوم المنطقية ، فقد أدخل فى منطق (أرسطو) عناصر جديدة تقبلها العرب وأخذوا بها .[1] وعلى الجملة (فأرسطو) و (جالينوس) هما الباحثان الأغريقيان اللذان سادا الحركة العلمية الأسلامية واقتسماها فيما بينهما : (أرسطو) فى الفلسفة ، و (جالينوس) فى الطب . على أن الثانى قد عدا فى غير موضع على ميدان الأول ، وأصبح العرب يسمونه بحق : « الطبيب الفيلسوف ! »

لو وقف المسلمون عند (ارسطو) وكتبه وكتب تلاميذه المشائين ، لكانت فلسفتهم مخالفة تمام المخالفة لتلك الفلسفة التى خلفوها . غير أنه لا يصح أن ننسى أن بينهم و بين (رئيس الليسيه) مدرسة الأسكندرية التى أثرت فيهم تأثيراً كبيرا . وأن أثرها ليتناسب مع قربها الزمنى من الثقافة الأسلامية ، واعتناقها آراء أشربت بروح دينية ؛ فنظرياتها تعد أول خطوة صادقة فى سبيل التوفيق بين الفلسفة والدين . هذا الى أن (أرسطو) نفسه وصل الى العرب فى ثنايا كتب علماء الاسكندرية وفلاسفتها ؛ ذلك لأن هؤلاء الفلاسفة شرحوا النظريات الأرسطية فى مؤلفات عديدة ترجم أكثرها الى العربية . ويمكننا أن نذكر بين هؤلاء الشراح پورفير Porphyre وتيمستيوس Thémistius وأمونيوس Ammonius وسمبليسوس Simplicius وداود الأرمنى David l' Arménien وجان فيلوپون Jean Philopon أو يحيى النحوى ، الذين كانوا أكثر اتصالا بالمسلمين من تلاميذ (ارسطو) القريبين منه . ويتكلم (الشهرستانى) عن (پورفير) و(تيمستيوس) فى لغة مملوءة بالاحترام ملاحظا أنهما من أدق الشراح لنظريات (أرسطو) وإن كانا يخلطانها ببعض مبادئ الأفلاطونية الحديثة[2] . وينقل (الفارابى) بعض آراء (أمونيوس) مستشهدا بها فى مواضع مختلفة[3] . وقد تمكن (يحيى النحوى) ، بفضل نظريته فى خلق العالم ومناقشته لمذهب (أرسطو) ، أن ينال حظوة علماء التوحيد المسلمين . واذا تتبعنا شروح كتب (أرسطو) فى المنطق التى ترجمت الى العربية ، وجدنا أغلبها من عمل فلاسفة الأسكندرية . وقد ترجمت هذه الشروح فى آن واحد مع المتون التى تتصل بها ، وأصبحت غير قابلة للفصل عنها[4] . وليس هذا قاصرا على العلوم المنطقية ، بل يتعداها الى الدراسات الأخرى ؛ ففى كل ناحية من نواحى البحث النظرى لجأ العرب الى علماء الأسكندرية ليستعينوا بهم على فهم (أرسطو) ومؤلفاته . وإن نظرة قصيرة الى كتاب تاريخ الحكماء للقفطى ترينا أن هذه المؤلفات وشروحها التى ألفها علماء الأسكندرية كانت تكوّن فى نظر المسلمين كلا مرتبط الأجزاء[5] . وجملة القول أن مدرسة الأسكندرية ، بحكم موقعها الجغرافى والتاريخى كانت مهيأة لأن تنشر علومها وكتبها فى العالم الأسلامى ؛

من هذه العناصر المختلفة التى أشرنا اليها فى اختصار تألفت فلسفة الاسلام . فاذا كان مذهب (أرسطو) عمادها القوى ، فان (أفلاطون) و (أفلاطن) قد أقرضاها مواد غير قابلة للأنكار ، وقد لوحظ منذ زمن بعيد ما فى الفلسفة الاسلامية من مخلفات الأفلاطونية الحديثة ، إلا أنه لم يحدد بعد بالدقة المصادر التى أخذت عنها هذه المخلفات[6] . فتارة يبحث عنها فى إنياد Ennéades (أفلاطن) ، وأخرى فى كتاب الربوبية La Théologie apocryphe ، وكتاب الخير المحض Le Livre des Causes اللذان ينسبان خطأ إلى (أرسطو) . فأما (أفلاطن) أو « الشيخ اليونانى » كما يسميه (الشهرستانى) فلم يترجم قط إلى العربية ، وما ينقله (الشهرستانى) من آرائه يرجع إلى ما كتبه فلاسفة الاسكندرية الآخرون[7] . وأما كتاب الربوبية وكتاب الخير المحض فقد نقلا من غير شك نظرية (أفلاطن) إلى المسلمين ، غير أنه يجب أن نضيف إلى هذين

(١) Madkour, L, organon d. Aristote...,pp. 207—208

(٢) الشهرستانى ، الملل ، جـ ٢ ، ص ٣٤٣ — ٣٤٤ ، ٣٤٤ — ٣٤٥ Meyerhof, Von Alexandrien, p. 392—93

(١) الفارابى ، الثمرة المرضية (طبعة ليدن) ، ص ٢٤

(٢) القفطى ، تاريخ الحكماء ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) Renan. Averr. p. 93.—Munk, Mélanges, pp. 248 et suiv

(٥) الشهرستانى ، الملل ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٣

الكتابين مؤلفات شرّاح (أرسطو) من فلاسفة الاسكندرية الذين أشرنا إليهم آنفاً . فان هؤلاء الشراح لم يقدّموا للعرب المذهب الأرسطي في صورته القديمة ، بل مختلطاً ببعض النظريات الأفلاطونية والرواقية وأجزاء من الأفلاطونية الحديثة ، ويدهشنا أنه لم يتنبه أحد بعد إلى هذه النقطة برغم مالها من أهمية ، وإن من يتأمل قليلاً يدرك أن واحداً (كپورفير) أو (كسمپليوس) إنْ شرح (أرسطو) ، فانه لا يستطيع التخلص تماماً من آرائه الشخصية ، أو التخلي بتاتاً عن نظريات مدرسته [1] ، لذلك لم تنتج الحركة الفلسفية التي قام بها علماء الاسكندرية في القرن الثاني الميلادي ، والتي بينها (رينان) و (راڤيسون) بياناً شافياً ، مذهباً أرسطياً خالصاً ، بل نظرية مشوبة بعناصر مختلفة [2] ، فقد كان شراح الاسكندرية معنيين بالتوفيق بين (أرسطو) (وأفلاطون) من جانب ، وبين الأول وجماعة الرواقيين من جانب آخر ؛ وهذا التوفيق نفسه هو أوضح خاصة من خصائص الفلسفة الاسلامية . ونعتقد أنا إذا أردنا أن ندلي بحكم دقيق على هذه الفلســـفة ، فلا بد أن يكون بين أيدينا شروح فلاسفة الاسكندرية وشروح كبار أتباع (أرسطو) الأول . وما دامت هذه الشروح لم تدرس دراسة وافية فان آراءنا وأحكامنا المتعلقة بتاريخ الأفكار الفلسفية في الديار الاسلامية ستبقى ناقصة ومؤقتة

ابراهيم بيومي مدكور
دكتور في الآداب والفلسفة

(١) Waddington, Simplicius, dans Dict. d. s. philos., p.1618

(٢) Ravaisson, Essai sur la Mét. d'Aristote, Paris, 1846, II,540 — Renan, Averroès, 93. — ch. Bréhier, Histoire, I, 444. 447.

مجموعات الرسالة

سجل للأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٥ قرشاً
ثمن مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول والمجلد الثاني) ٧٠ قرشاً
كل وثمن مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً

الى الشاب المسلم المثقف

الاسلام دين القوة

بقلم أحمد بديع المغربي

أستاذ الاجتماعيات بالمدرسة الثانوية بالموصل

طفا على الجزيرة العربيـة نورٌ سماوي تسرب إلى القلوب المغلقة فاقتحم أقفالها ، ونفذ إلى الضمائر الميتة فبعث فيها حياتها ، وتغلغل في أحشائها فبدد ظلماتها . وصحب هذا النورَ صوتٌ عربيٌ ينادي بالاسلام تعالى في أرجائها ، فجمع أشتاتها وألّفَ بين قلوبها

« هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ؛ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

قبائل بدوية متنافرة أعمى الجهل أبصارها ، وعشائر رُحَّل متناحرة مزق الغزو وَحدتها ، وهدد السلب والنهب كيانها ؛ نفوسٌ أبيّة رضعتْ لبانَ الحرية منذ طفولتها ، وتنشقت هواء البادية المشبع بروح الأَنَفَةِ والكبرياء والشمم والأباء منذ أن شبّتْ عن أطواقها

هذه القبائل المتنافرة ، وتلكم العشائر المتناحرة ، ما استطاعت أن تجد من نفسها حولاً ففاضت دموعها خشوعاً واجلالاً ، وخرت للأذقان سُجَّداً ، وانصاعت لذلك الصوت الدَوِيِّ الذي اخترق آذانها الصماء ، وانقادت قلوبها الغُلْفُ طَوْعاً لذلك النور السماوي الذي غمرها بالضياء . . .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً ، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً »

« وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ »

فتحولت من الضعف إلى القوة ، وانتقلت من التفرقة إلى